

بلا مناقشة أو تفكير ، وأجبت به في الامتحان بلا تردد ، وأنت
ترغم اليوم أنك تعرف العربية حق معرفتها ، وأنت أخذتها عن أهلها»
قال : « ولكن ما دخل هذا في موضوعنا ؟ »

قلت : « كنت أحبك ذكياً وليبياً ، فإن هذا هو حل
المشكل . بهذه العقيلة التي جعلتك تسلّم بأن قال أصلها قول ،
فتح ما قبلها فأنقلبت ألفاً ، يجب أن تخاطب الطلبة . فاذهب وقل
لهم إن « Sat » أصلها « Sit » ، وإن حرف الةلة فتح ما قبله فأنقلب
« Sat » فترى أن هذا يسرهم ويكفيهم ، وستجد أنك استرحت
بعد ذلك من كل عناء . »

فصاح بي : « ولكن هذا غير معقول »

قلت : « إنه معقول كقولك إن قال أصلها قول وأن الواو
فتح ما قبلها إلى آخر هذا الهراء . ولا تحتقر تلاميذك حين ترام
يصدقون أن « Sat » أصلها « Sit » ، وأن حرف الةلة فتح ما قبله
إلى آخر هذا الهراء ، أو حين يتوهمون أنهم فهموا . فلست خيراً منهم ،
وما أكثر ما يتوهم الإنسان أنه فاهم ، وهو غير فاهم شيئاً . إذهب
وافعل ما أشير به وأخبرني بالنتيجة ، وإن كنت أعرفها من الآن
كلها . لن تقول لي بعد الآن إنك أخفقت ، وإنك ستطلب من
الوزارة النقل إلى مدرسة أخرى »

وقد كان ، وسكنت الثورتان : ثورة الطلبة على المدرس ،
وثورة المدرس على نفسه

وهذا استطراد بدأت به ، أما ما كان العزم أن أقوله فهو أن
هذا الصديق المدرس سألتني يوماً وقد علم أنني رُزقت طفلاً :
« حدثني عنه . صف لي كيف تحبه ! »

قلت : « لا أعلم أنني أحبه »

قال : « لا تتكلف الفلسفة »

قلت : « الحقيقة أنني حائر ، لا أشعر بأية عاطفة ، ولا أحس
أن لي به سروراً كذلك الذي أسمع وأقرأ أن الأدباء يحسونه بينهم ؛
وإني لستغرب »

قال : « أتتكلم جاداً ؟ »

قلت : « إني جاد جداً . وثق أنني حائر »

قال : « لعل الماطفة راقدة ، وعسى أن تكون محتاجة إلى
ما يوقظها وينبها »

نقص أم ماذا ... ؟

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

كان مي — وأنا مدرس في مدرسة دار العلوم — أستاذ
إنجليزي كانت بيني وبينه صداقة وثيقة . وكنا نعلم الطلبة مبادئ
اللغة الإنجليزية ، فأقبل على يوماً يقول : « لقد أخفقت وأحسب
أن من واجبي الآن أن أقنع رؤسائي بنقلي إلى مدرسة أخرى ،
فما في بقائي هنا خير ، ولست أدري كيف تصنع أنت ، ولكن
الذي أدريه أنني أنا أخفقت »

فقلت له وأنا أمأزحه : « أقعد ، أقعد ، وحدث (عمك)
المازني بما تمنى وتكابد . ما هي الصعوبة اليوم ؟ »
قال : « سأخبرك . إن كل طالب يسألني مثلاً عن الفعل
« Sit » — يجلس — كيف انقلب فصار « Sat » — جلس —
فلا أستطيع أن أجيب بكلام معقول مقبول يريح إليهِ العقل .
هم يريدون سبباً ويطلبون تليلاً ، وأنا لا أعرف إلا أن هاتين
صيفتاه في الحالتين . وقس على هذا »

قلت : « هل تطيعني إذا أشرت عليك بأمر ؟ »
قال : « أتمرح ؟ »

قلت : « أمزح ... أجد ... سبباً . المهم إنقاذك من
الورطة . إسمع يا صاحبي . لقد كنت أظن أنك أفدت شيئاً مما
تعلمته من قواعد اللغة العربية . وكنت أحسب أن ذهنك مرن ،
وأن لك قدرة على الاتباس والقياس . وكنت أتوهم أنك تستطيع
أن تخاطب كل فريق من الناس بما يفهمون »
قال : « لست فاهماً »

قلت : « ألم يملك شيوخك في اللغة العربية أن (قال)
أصلها (قول) وأن الواو فتح ما قبلها فصارت ألفاً ؟ »

قال : « نعم »

قلت : « هل تستطيع أن ترغم أن هذا كلام معقول مقبول
يستريح إليهِ العقل ؟ »

قال : « لا »

قلت : « ولكنك سلت به بلاجدال ، وأخذته عن مشايحك »

قلت : « عسى »

وانتقلنا إلى حديث آخر ، ومضت الأيام وماتت البنت — فقد كانت بنتاً — فلم أرى حزنت أو جزعت ، ولم يكن هذا كافياً لتنبية عاطفة الأبوة التي قال لي صاحبي أن أكبر ظنه أنها راقدة . ولى الآن من البنين ثلاثة ، وقد استطعت أن أوحى إلى نفسي حب بنتي التي ماتت ، وحب أخرى جاءت وزهبت مثلها ، وحب البنات على العموم دون البنين ، أو أكثر من البنين ، ولكني أدرك أن هذا فعل الإيحاء لا فعل الطبيعة ، وأعرف من نفسي أنني لا أعرف لبني مثل ما يعرف الآباء غيري . نعم أشفق عليهم وأعني بهم ، ولكني لا أشعر لهم بتلك الرقة التي أسمع بها . ويخيل إلي أن العادة هي منشأ ما أحسه لهم ، وأنى أرحمهم لأنهم صغار ضعاف ، وأعني بهم لأنني جئت بهم فأنا مسئول عنهم . وكثيراً ما أضجر وأمل ، وأسأل نفسي متى يكبرون ويستغفون عني ، فأحط عن كاهلي عنهم ، وأرتاح منهم ، وأعيش وحدي مستقلاً عنهم ؟ وأرحل وأغيب ، فلا أحن إليهم إلا حنة المرء لشعبه وصديقه ، ولألوفه

وكان لي أخ أسن مني ، وكنت أقرسه ، ولكني لم أكن أشعر له باحترام أو حب ، كالذي يكون بين الأخوين عادة . ولم أبكه لما مات ، وإنما مسخت على ضعفه الذي قتله ، فقد كانت امرأته تركبه كالجار ، وكان يشكولي هذا ، فأخبر ، وأقول له : « ما الفائدة ؟ إنك ضعيف ، وهي تركبك ، ولا أمل فيك ولا خير في الشكوى ، فاحتمل على قدر طاقتك ، فإله خلقك الله لتغير هذا » فيقول : « نعم . صدقت . يجب أن أحتمل » فأنهض من مجلسه مشمئزاً ، وإن كنت فيها عدا ذلك أستظرفه وأستخف ظله ، وأحب فكاهته ، ولكن ضعفه كان يهيج نفسي عليه ، وقد مرضت جدتاً فلم يعدها لأن امرأته أبت عليه ذلك ، فلما مات جاء ليثي في جنازتها ، فأيت عليه ذلك وقلت له : « كان الأول أن تعودها في حياتها لتدبرها على الأقل ولتعفيها من شعور الحسرة ، أما الآن فأولى بك أن تذهب إلى بيتك » ففعل

وانقطع ما بيني وبينه سنوات لم أشفق إليه فيها قط ، ثم التفتنا اتفاقاً فتصالحنا في صمت ثم زعت يدي ، ومضيت لشأني ومضى في سبيله . وقد قصص هذا لأصف شعوري الحقيقي

فهل هذه بلادة ؟ أو هي نقص في بعض جوانب النفس ؟ أم ذلك لأن عاطفتي الأدبية تستغرق نفسي كلها ؟ أم لأن حبي لأي شيء استنفد ذخيرة النفس من هذا الحب ؟ فقد كان حبي لأي شيء — وما زال — أقوى ما استولى على نفسي ، وكان هو العامل المؤثر في سيرتي ، فكنت إذا هممت بأمر أسأل نفسي : « ماذا ترى يكون رأي أي في هذا ؟ » فإذا كان الجواب خيراً أقدمت ، وإلا صدت نفسي وكبتها عن مرادها ، وصرفتها عما تحاول . — أم ترى التعليل الصحيح أن البنين والإخوة والأقرباء على العموم نتيجة المصادفة ، ليس إلا ؟

لا أدري . وأكبر الظن أن بي نقصاً ، فإني فيها عدا حبي لأي شيء ، لم يثبني حب قط — لا حب امرأة ، ولا حب أحد من البنين أو الأقارب . ولست أرى الناس كذلك ، وليس من العقول أن أزعج أن الناس غيري شاذون ، وأنى أنا وحدي الطبيعي ، والأولى والأقرب إلى العقل أن آخذ بتنطق « قراقوش » فأصدق الناس ، وأرفض زعم الفرد .

أبراهيم عبد القادر المازني

الفصول والغايات

معبرة الشاعر الطنب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريفته ، وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة في القاهرة وصدر منذ قليل صحبه وطبعه وشرحه الأستاذ

محمد مكي زباني

ثمة ثلاثون فرساً غير أجرة البريد وهو مضبوط بالشكل الكامل ويقع في ثمانية ٥٠٠ صفحة ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة ويباع في جميع الكنائس المميرة